الأستاذة: د. أمينة أونيس
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي
السنة الدراسية: 2023/2022.
السداسي الأوّل

المادة: نقد النثر القديم (تطبيق)
الاختصاص: دراسات نقدية
السنة: الثالثة ليسانس.
الأفواج: 01 + 02.

فن الخطابة عند أرسطو

تمهيد

قصد أرسطو من تأليفه في الخطابة إلى غاية خلقية فنية، فأراد ان يعين على إقرار الحق و العدل بتزويده الخطباء بوسائل البراهين الصحيحة، فلم يفته التنبيه إلى أولئك المغالطين الذين يتخذون الخطابة وسيلة للتعمية والتمويه، فكشف عن وسائل المغالطة في الحجة، ليلفت إليها الخطباء والسامعين على سواء، فخير للخطيب أن يكون قادرا على الإقناع بما يضاد قضيته الصادقة، لا ليدافع عن أي الجانبين يتاح له.

وقد أقام أرسطو الخطابة على البرهان فكان للمنطق شأن كبير في معالجته لمسائلها، وإذا كان القياس المنطقي دعامة من ينشد الحق، فهو وسيلة كذلك لمن يريد التمويه بالأقيسة الظاهرة يسوق فيها ما يشبه الحق.

عاب أرسطو على من تكلموا في الخطابة قبله لأنّهم لم يعنوا بالقواعد الفنية للبراهين، فكان جل همهم تعليم ما به يجتذبون أنظار القضاة إلى آرائهم، ممّا هو خارج عن طبيعة الموضوع، كما أنّهم لم يهتموا إلا بالخطابة القضائية، حيث تكون هذه الوسائل مدعاة إلى تحيّر القضاة في الحكم؛ فتصبح الخطابة مجلبة للمنافع الخاصة ضد الحق والعدل.

خالف أرسطو كل من سبقوه في الحديث عن الخطابة، فبين أنواعها، وأسسها الفنية، وصلتها بالمنطق الصحيح، وفي كل هذا تتضح أصالة أرسطو، ويظهر فضله على من سبقوه.[1]

الخطابة والمنطق:

يعرّف أرسطو الخطابة بأنّها " القدرة على الكشف نظريا، في كل الحالات، عن وسائل الإقناع الخاصة بتلك الحالة، وقد يستطاع الإقناع بالحق أو بالباطل، فالخطابة كالمنطق تستخدم للبرهنة على النقيض، ولكن بالوسائل الفنية للخطابة نفسها يمكن تمييز ما هو حق مما ليس حقا إلا في ظاهره، لأنّ الأفكار الصحيحة المنطبقة على قواعد الخلق هي دائما أكثر إقناعا وأقوى في إيراد الحجج، وكذلك المنطق، به يستطاع تمييز القياس الصحيح من القياس الفاسد، وليس هناك من كلمة بها يتميز الخطيب الشريف المقصد من الخطيب السيء النية، على حين يكون المرء منطقيا على حسب مقدرته في الجدل، وسوفسطائيا (مغالطاً)، على حسب الغاية".

والخطابة والمنطق يشتركان في طرق التقرير والبرهنة والتفنيد، ولكن المنطق يستخدم على الأخص للوقوف على قيمة التعريفات في ذاتها، وفي خصائصها وعوارضها، وبهذا يمكن أن يكون أداة للمعارف العلمية، فلا أثر في المنطق لمزاعم الجمهور، بل السير فيه وراء هذه المزاعم خطأ محض؛ على حين تنظم الخطابة بالمنطق مادة موضوعها، وتسوق حجها بحيث تكون ذات أثر في جمهور معين، ولا بد فيها من الملاءمة بين العبارات ولابسات الجمهور. وتظل العبارات فيها ذات طابع

1- ينظر: محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط5، 1971، ص:93-94.

منطقي في الأداء، ولكن براهينها يجب ألا يتبع حرفية الأقيسة المنطقية، وذلك أنّ الجمهور الذي يتوجه إلى الخطابة غالباً ما يكون على غير حظ كبير من الثقافة، فيصعب عليه متابعة الأقيسة المنطقية الجافة، وهذا هو السبب في أنّ الخطباء غير المثقفين أقدر عل إقناع الجماهير من الخطباء المثقفين، فالأولون أبرع في فن القول أمام الجمهور، لأنّهم يصوغون الأفكار العامة المشتركة من موضوعات معارفهم، فتأتي أقوالهم قريبة من الجمهور.

ونتيجة لهذا كان على الخطباء ألا يستخرجوا حججهم من جميع الأفكار كيفما اتفق، ولكن من أفكار محددة، فيراعون مثلا أفكار القضاة الذين يترافعون أمامهم، أو أفكار الجمهور الذي يوجههم في أقوالهم على حسب سلطانه.

فللخطابة اعتباراتها الخاصة في صوغ الحجج؛ ولها مع ذلك قرابة وثيقة بالمنطق، لأن براهينها في أكثر الاحيان معتمدة على المنطق[2].

يقول أرسطو:

- **"الخطابة هي قوّة تتكلّف الاقناع الممكن في كل واحد من الأشياء المفردة"**
- **"إذا كان من المخجل ألاّ يتمكّن الإنسان من الدفاع عن نفسه بالقوّة العضلية، فإنّه من العبث ألاّ يتمكّن الإنسان من الدفاع عن نفسه بالكلمة، إذ بهلا لا بالقوة العضلية يتميّز الإنسان".**
- **"نتعلّم كل شيء إما بواسطة الاستقراء أو بواسطة القياس".**
- **"إنّني أسمي المضمر قياسا خطابيا، وأسمي الشاهد استقراءا خطابيا، كل النّاس يبرهنون على إثبات ما بالشاهد أو المضمر، ولا يوجد غيرهما لأجل هذه الغاية".**
- **"القياس المضمر هو الحجة بامتياز"**
- **الإيتوس ... اللوغوس ... الباتوس.**

ملاحظة:

أرجو من الطلبة الأعزاء الاطلاع على ما درسناه في حصة التطبيق خاصة ما تعلّق بالتصديقات المصطنعة والتصديقات الجاهزة لشرح مقولات أرسطو أعلاه.

2- ينظر: محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص:94-95.